﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢ وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡهُمۡ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١١٣﴾ [النحل: 112 - 113]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتينِ لما قَبْلَهُما:

الوعيد يقتضي بعضُه بعضًا، ويؤدِّي بَعْضُهُ إلى بعضٍ

"لَمّا هدَّدَ اللّهُ تعالى الكفارَ بالوعيد الشَّديد في الآخرة، هدَّدَهم أيضًا بآفات الدُّنيا، وهو الوقوع في الجوع والخوف، كما ذكَره في هذه الآية"(1)، و"لَمّا ذكَر المَثَلَ، ذكَر المُمَثَّل فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُمۡ﴾"(2)؛ فـ "جَعَلَهُم مَضْرِبَ مثَلٍ لقريةٍ عُذِّبتْ عذاب الدُّنيا، أو جَعَلَهُم مَثَلًا وعِظَةً لِمن يأتي بِمِثْلِ ما أتَوا به مِن إنكار نِعمة الله"(3).

و"لَمّا أخبر عنهم بأنَّهم أُذيقوا لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، وكان إنَّما ذَكَرَ من صنيعهم أنَّهم كفروا بأنعُم الله - زيدَ هنا أنَّ ما كانوا يصنعون عامٌّ لِكُلِّ عملٍ لا يُرضي الله تعالى غير مخصوص بكفرهم نعمةَ الله ﷻ، وإنَّ مِن أشنعِ ما كانوا يصنعون تكذيبَهم رسولَ الله ﷺ مع أنَّه منهم"(4).

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رَغَدًا﴾: "عَيْشٌ رَغيدٌ، أيْ: رَغَدٌ، رَفيهٌ، والرَّغَدُ: سَعَةُ العَيش، وقومٌ رَغَدٌ ونساءٌ رَغَدٌ"(5)، و"عيشَةٌ رَغْدٌ ورَغَدٌ، أيْ واسِعَةٌ طيّبةٌ، تَقولُ: رَغِدَ عيشُهم ورَغُدَ عَيْشُهم - بكسر الغين وضمِّها -، وأرغَد

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 278.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 280.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 303.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 308.
(5) الخليل، العين: (رغد).

القومُ: أخْصَبوا وصاروا في رَغَدٍ من العَيْش، وأرغَدوا مواشيَهم: تركوها وسَوْمَها"[1]، والمُرادُ بالرَّغَدِ في الآية: الوافِرُ الهَنيءُ.

2) ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾: أصلُ (ذَوَقَ): أصلٌ واحدٌ، وهو "اختبارُ الشَّيءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ثمَّ يُشتقُّ منهُ مجازًا، يُقالُ: ذُقْتُ المأكولَ، أذوقُهُ، ذَوْقًا، وذُقْتُ ما عند فُلانٍ: إذا اخْتَبَرْتُهُ"[2]، وذَوَّقَهُ الطَّعامَ: جَعَلَهُ يَخْتَبِرُ طَعْمَهُ بِلِسانِهِ، والذَّوق وجود الطَّعم بالفَم، واستُعمل في العذاب بكَثرة، قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: 49]، واستعمل في الرَّحمة أيضًا ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: 10][3]، فإن كان التَّذوق للنِّعمة زيادة في التَّنعم، فالتَّذوق للعذاب زيادة في الألم، فهو مُستَعارٌ هنا إلَى إحساسِ الألَمِ والأذَى إحساسًا مَكينًا كَتَمَكُّنِ ذَوْقِ الطَّعامِ مِنْ فمِ ذائِقِهِ لا يَجِدُ لَهُ مِدْفَعًا[4].

3) ﴿مَثَلًا﴾: أصلُ (مثل): يَدُلُّ على مُناظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ، وهذا مِثْلُ هذا، أي: نَظيرُهُ، والمِثْلُ والمِثالُ في مَعْنًى واحِدٍ[5]، والمَثَلُ: عبارةٌ عن قَولٍ في شيءٍ يُشبِهُ قولًا في شيءٍ آخر بينهما مُشابهة، ليُبيِّن أحدُهما الآخر ويُصوِّرَه، نحو قولهم: "الصَّيفَ ضَيَّعتِ اللَّبَنَ"[6]، فإنَّ هذا القول يُشبه قولكَ: "أهْمَلْتَ وقْتَ الإمكانِ أمرَكَ"[7]، وعلى هذا الوجه ما ضَرب الله تعالى من الأمثال، فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: 21]، والمُرادُ بالمَثَلِ في الآية: تَشْبيهُ حالٍ بِحالٍ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبر الله تعالى أنَّه جعَل "مثلًا قريةً كانت ذات أمنٍ وسلامةٍ مِن كلِّ مَخوف، لا يُهَيِّجُ أهْلَها أحدٌ بإغارة أو اعتداءٍ عليها، وكانت مُطْمَئِنَّةً ساكنةً قارَّة، لا يُزْعِجُ أهْلَها مُزْعِجٌ، ولا يَرْتَحِلُ عنها أحدٌ بسبب جوعٍ أو خوفٍ، يَسوقُ الله إليها أقواتها واسعة سهلة من كلِّ بلَد، وتُحمَل إليها من كلِّ مكان برًّا وبحرًا ... فجَحَدَ أهْلُ هذه القرية نِعم الله تعالى عليهم

(1) الصحاح، والجوهري: (رغد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذوق).
(3) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، الدر المصون: 5/ 282، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 172.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مثل).
(6) ابن سلام، الأمثال، ص: 247، والعسكري، جمهرة الأمثال: 1/ 324.
(7) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.

المعاصي ماحِقَةُ النِّعَم، وجالبة العقوبات

فقابلوها بالكفر بدل الشُّكر، وبالمعصية بدل الطّاعة فعاقبهم الله ﷻ بِعِقابٍ مِن الجوع والخوف تمكَّن منهم، وأحاط بهم إحاطة اللِّباسِ بِلابِسِهِ، بسبب ما كانوا يصنعونه من الكفر والمعاصي"[1].

"ولقد جاء إلى أهل هذه القرية رسول من جنسهم، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فأمرهم بطاعة الله وشكره، ولكنَّهم كَذَّبوه، وأعرضوا عنه ... فكانت نتيجة تكذيبهم السَّريع لنبيهم أنْ أخذهم العذاب العاجل الَّذي استأصل شأفتهم، والحال أنَّهم هم الظّالمون لأنفُسهم؛ لأنَّ هذا العذاب ما نزل بهم إلّا بعد أنْ كفروا بِأَنْعُمِ الله، وكذَّبوا رسولَه"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو ودلالتها في مطلع الآية:

السَّعِيدُ مَن وُعِظَ بغيره

الواو في قولِه تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ إمّا أنْ تكون استئنافية[3]، باعتبارِ استئناف ذِكر معنى جديد، وهو ضرب القرية مثلًا للنّاس، وإمّا أنْ تكون عاطفة، "عطفُ عِظَةٍ على عِظَةٍ، والمعطوف عليها هي جُمَلُ الامتنان بِنِعَم الله تعالى عليهم من قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 53]، وما اتَّصل بها إلى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: 83]، ويجوز أنْ يكون المعطوف عليها جملة ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ﴾"[4]، وهكذا يصرِّف الله تعالى لهم الآيات، ويعدِّدُ لهم العِظات؛ لعلَّهم يعتبرون، فيتَّعِظون، ولا يسقطون، فيعاقبون عقابَهم، "والسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ"[5].

براعةُ استعمال مادّة الضرب:

قوّة المثَلِ راسخةٌ في ذهن المُعْتَبِر

أصلُ الضَّرْب إيقاعُ شيءٍ على شيءٍ، والضَرْبُ مأخوذٌ من ضَرْبِ

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 688.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 248.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 375.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 303.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 2/ 512.

الدَّراهم، وهو ذِكر شيءٍ أثرُه يظهَر في غيره[1]، والآية الكريمة استعملت الفعل ﴿وَضَرَبَ﴾ في معنى: ساق، وبيَّن، وحكى؛ فحقَّقتْ بذلك براعةَ الاستهلال الجاذبِ نحوَ الانتباه والتَّركيز على تفاصيل هذا المَثَل الفاعل في النُّفوس؛ فإنَّ الضَّرب من شأنه أنْ يترك أثرًا في المضروب.

فالمقصود بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ "أيْ: جَعَل[2] القرية التي هذه حالُها مَثَلًا لِكُلِّ قوم أنْعَمَ اللهُ تعالى عليهم، فأبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، فكفروا وتَوَلَّوا، فأنزل الله ﷻ بهم نقمته، فيجوز أنْ تُراد قريةٌ مقدَّرَةٌ على هذه الصِّفة، وأنْ تكون في قرى الأوَّلين قريةٌ كانت هذه حالُها، فضربها الله تعالى مَثَلًا لِمَكَّةَ إنذارًا مِن مِثل عاقبتها مُطْمَئِنَّةً لا يُزْعِجُها خوفٌ"[3].

"ويجوز أنْ يكون ﴿وَضَرَبَ﴾ مُستعملًا في معنى الطَّلَب والأمر، أيْ: اضرب يا محمَّد لِقَوْمِك مثَلًا قرية إلى آخره"[4]؛ بُغْية أنْ يتَّعِظوا.

نكتةُ ذِكرِ المسند إليه:

المَثَلُ مِن الجليل عظيمُ الخطَر جليلُ القَدْرِ

آثرَ النَّظْمُ الكريم صياغةَ الفعل ﴿وَضَرَبَ﴾ مبنيًّا للفاعل في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ دون أنْ يَبْنيَهُ للمفعول، كأن يقول: (ضُرِبَ مثَلٌ) وذلك لتعظيم هذا المَثَل؛ بإسناده مباشرة إلى الاسم الجليل، فإنَّه مَثَلٌ يجمع بين حالين ضِدَّيْن خطيرين، تَرَتَّبَ وقوعُ ثانيهما على الإخلال بحقِّ أوَّلِهما.

فقد آلَ حالُ القرية - محلِّ التَّمثيل - الآمنةِ، المُطْمَئِنَّةِ، التي يأتي أهلَها رزقُهم رغدًا مِن كلِّ مكانٍ إلى مُقاساتهم تَجَرُّعَ مرارةِ الجوع ومعاناتهم شظف العيش؛ بسبب إخلالهم بشكر المُنعِم ﷻ،

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص: 505، 506.
(2) "ولذا عُدِّيَ إلى مفعولين"، يُنظر: طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 246.
(3) الزمخشري، الكشّاف: 2/ 638.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 304.

وتكذيبِ رسولهم المُرْسَل إليهم بما يسعدهم دنيا وآخرة، و"صيغ في صيغة الخبر توسُّلًا إلى إسناده إلى الله تعالى تشريفًا له وتنويها به، وليفرق بينه وبين ما صيغ بصيغة الطلَب نحو: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [يس: 13]"[1].

بلاغة صياغة المسنَد ﴿وَضَرَبَ﴾ فعلًا ماضيًا:

سُـنَّـةُ الـلـه في خلقه مُحَقَّقَةٌ لا تتخلَّف أبدًا

جاء "التَّعبير عن ضَرْب المثَل الواقع في حال نزول الآية بصيغة الماضي ﴿وَضَرَبَ﴾ للتَّشويق إلى الإصغاء إليه، وهو من استعمال الماضي في الحال لتحقيق وقوعه، مِثْل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النَّحل: 1] أو لتقريب زمن الماضي من زمن الحال"[2]؛ "فيُجعَل كالإخبار عن أمرٍ حصل؛ لأنَّ النُّفوس أرغبُ في عِلمه، كقول المُثَوِّب: قد قامت الصَّلاة، وفيه التَّنبيهُ على أنَّه أمر محقَّق الوقوع"[3].

بلاغة المجاز وتنوُّعه:

شـكـرُ الـنِّـعَـمِ يُـنـادي عـلى الرَّخاء، وكُفْرُها يـنـادي عـلى الشَّقاء

أثبت الذِّكْرُ الحكيم في المَثَل: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ﴾ تلك الصِّفات ﴿كَانَتۡ ءَامِنَةٗ﴾ و﴿فَكَفَرَتۡ﴾ إلى لفظ الـ ﴿قَرۡيَةٗ﴾، بينما المقصود بتلك الصِّفات المتعدِّدة والمتباينة أهلُها؛ ذلك أنَّ القرية لا تَعقِل، ولا تُكَلَّفُ، ولا تُجازى بثوابٍ أو عقابٍ؛ وعليه فقد أراد بـ "الضَّمائر كلِّها أهلَ القرية، فقد كفروا بأنْعُم الله ﷻ في ذلك، وفي جُملة الشَّرع والهداية"[4]، وعلى هذا يكون المجاز بحذف المضاف، أو أنْ نحمله على المجاز المُرسل، وعلاقته "المحليَّةُ؛ إذ أطْلَقَ المحلُّ وأريد الحال"[5].

وتَكْمُن بلاغةُ ضَرْب المَثَل بالقرية دون أهلها - على نوعي المجاز

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 304.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 304.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 399.
(4) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 3/ 426.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 376.

– في الإيحاء بأنَّ تلك الصِّفات ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ قد تحقَّقت لأهلها، واكتملت لهم، واستتبَّتْ فيهم، حتى كأنَّها فاضتْ منهم على القرية نفسِها؛ وكأنَّها شاركتْهم فيها سعادةً وشقاءً؛ كنايةً عن بلوغ تلك الصِّفات لهم مبلَغ التَّمام.

سرُّ تنكير ﴿قَرْيَةً﴾ في هذا المَثَل:

العِـبْرَةُ بعموم المَـــثَـــل لا بِخُصوص المُمَثَّلِ به

جاء المَثَل في هذه الآية الكريمة بـ ﴿قَرْيَةً﴾ نكرةً، لأنَّه قُصِد بها قريةٌ غيرُ معيَّنة، ضُرِبَتْ مثلًا لِمَكَّةَ على معنى التَّحذير لأهلها، ليَحْذَروا أنْ يَقَعوا فيما وقعتْ هي فيه، وجعلت أيضًا مثلًا لغيرها مِن القرى ممّا يأتي بعدها إلى يوم القيامة[1]، مِن كلِّ "قرية كانت على هذه الصِّفة"[2]، "من قرى الماضين التي تعرفونها كقرية هود، أو صالح، أو لوط، أو شعيب ﷺ كان حالها كحالهم"[3].

وجعَل المثَل قريةً موصوفةً بصفات تُبَيِّنُ حالَها المقصود مِن التَّمثيل؛ فاستغنى عن تعيين القرية؛ والنُّكتة في ذلك أنْ يَصلُح هذا المثَلُ للتَّعريض بالمشركين باحتمال أنْ تكون القريةُ قريتَهم، أعني مكَّةَ بأنْ جعلهم مَثَلًا للنّاس مِن بعدهم[4].

نُكتةُ ذِكر القرية على سبيل البدلِ دون العكس:

تشـويـقُ نفسِ المخاطَب أوقَـعُ في الفهم وأجلبُ للأفهام

آثرَ النَّظْمُ الكريم ذِكر ﴿قَرْيَةً﴾ على سبيل البدل من ﴿مَثَلًا﴾، فأخَّرها "مع كونها مفعولًا أوَّلَ لِئلّا يَحولَ المفعولُ الثّاني بينها وبين صفتِها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ وما يترتَّب عليها ﴿فَكَفَرَتْ﴾، ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾، إذ التَّأخيرُ عن الكُلِّ مُخِلٌّ بتجاذُب أطرافِ النَّظْم وتجاوُبِها.

ولأنَّ تأخير ما حقُّه التَّقديمُ ممّا يورث النَّفْسَ ترقُّبًا لِوُرودِه، وتَشَوُّقًا إليه لا سيَّما إذا كان في المُقدَّم ما يدعو إليه، فإنَّ المَثَلَ ممّا

(1) ابن عطية، المحرّر الوجيز: 3/ 426.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 194.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 11/ 264.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 304.

يدعو إلى المحافظة على تفاصيل أحوالِ ما هو مَثَلٌ؛ فيَتَمَكَّنُ المُؤَخَّرُ عند ورودِه لديها فضلَ تمكنٍ"[1].

بلاغةُ الوصف بالماضي: ﴿كَانَتْ﴾:

تنزلُ العقوبات عند تمكُّنِ النِّعم ورسوخ الغفلة

ابتداءُ جملة الصِّفة ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ بالفعل الماضي ﴿كَانَتْ﴾ أيْ: "كانت تعيش في أمانٍ لا يَشوبُه خوفٌ، وفي سُكونٍ واطمئنان لا يخالطهما فزعٌ أو انزعاجٌ"[2]، والماضي يُفْصِح عن تَحَقُّق تلك الصِّفات الطَّيبة لها، ويُقرِّر تَمَكُّنَ تلك الصِّفات الهانئة فيها، وأنَّ أهلها كانوا يَتقلَّبون في النَّعيم الحسّيِّ والأمان الرّوحيِّ، لا يُنغِّص عليهم الحياةَ شيءٌ أيُّ شيءٍ.

فإذا كانت تلك حالَهم مِن الرَّغَد والسَّعادة، ثمَّ تَمرَّدوا على المُنعِم ﷻ بِجُحود نِعَمِه، وتكذيبِ رُسله؛ فقد استوجبوا الذَّمَّ، واستحقّوا العِقاب، وباؤوا بالخُسران المُبين.

بلاغةُ المجاز العقليِّ:

وفرةُ النِّعم تظهر في القريةِ كُلِّها فتوصَفُ بها دون أهلها

وُصِفت القرية بصفتَيِ الأمنِ والاطمئنان في قوله: ﴿ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ مِن باب المجاز العقلي؛ إذ إنَّ القرية بُقْعَةٌ من الأرض - بما عليها من أبنية ومرافقها - لا تشعر بأمن ولا طُمأنينة ولا بفزع، وإنَّما يشعر بالأمن والطَّمأنينة أو الفزع أهلُها لا هي، والَّذي سوَّغ زحزحة تلك الأوصاف من أهل القرية إلى القرية نفسها "أنَّها مكان الأمن، وظرفٌ له، والظُّروف مِن الأزمنة والأمكنة توصَف بما حَلَّها، كما يقال: طيِّبٌ وحارٌّ وبارِد"[3].

ومن بلاغة ذلك الإيحاءُ بأنَّ تلك الصِّفاتِ قد تمَّتْ لأهل القرية، وتكاثفتْ عليهم، وفاضت حتَّى عمَّتْ القرية كلَّها، كنايةً عن وفْرَتِها

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 144.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 246.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 279.

لأهلها، وذلك مما يعكس شُؤْمَ صنيعهم من الكفر والجُحود، وتكذيب رسولهم ﷺ، ممّا تسبَّب في انقلاب أحوالهم إلى أضداد تلك الصِّفات من الخوف وأهواله.

وبلوغُ تلك الصِّفات لأهل القرية يدُلُّ دلالة قاطعة على فساد نفوسهم، وعِظَم جُرمهم، واستحقاقهم أن يكون عقابهم عِبرةً لغيرهم، ومثَلًا يخوِّف الله تعالى به مَن تُسَوِّلُ لهم نفوسهم استقبال أنعُم الله تعالى بالجُحود والكفران.

بلاغةُ الجمع بين لفظي الأمن والطّمأنينة:

الأمـــنُ أصـل الـعـافـيـة والـطّـمـأنـيـنـة ثمرتها العالية

جمَع النَّظْمُ الكريم في قوله تعالى: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ بين الأمن والطَّمأنينة مراعاةً لجمع النَّظير مع نظيره والشَّبيه إلى شبيهه؛ لأنَّ الأمن والطَّمأنينة بعضهما من بعض؛ ولأنَّه لا يحصل للعبد ثانيهما إلّا بحصول الأوَّل؛ لذا جمَع بينهما الذِّكرُ الحكيم أسبابًا لِهناءة أهل تلك القرية المَضْروبَةِ مثَلًا هنا.

و"أمن القرية أنَّ أهلَها آمنون لا يتفاوزون كالبوادي"[1]، و"لا يُغار عليهم، مطمئنَّة قارَّة ساكنة بأهلها؛ لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوفٍ أو ضيق"[2]؛ وكان ذلك في إبّان نزول القرآن الكريم مُتحقِّقًا لأهل مكَّة؛ "لأنَّ العرب كان يُغيرُ بعضهم على بعض، أمّا أهل مكَّة فإنَّهم كانوا أهل حَرَم الله تعالى، والعرب كانوا يحترمونهم، ويَخُصّونهم بالتَّعظيم والتَّكريم"[3].

فكان ينبغي على أهل مكَّة أنْ يَلتفتوا إلى حِكمة ذلك المَثَلِ بقوَّة، وأنْ يُؤثِّر فيهم بقوَّة، كما يجب أنْ يَلتفت إليه كلُّ مَن أوتي نعمةً مِن نِعم الله تعالى بقوَّة، وأنْ يتأثَّر به بقوَّة، وبخاصَّة نِعمة الأمن والطَّمأنينة بكلِّ لوازمها، والعقلاء قالوا:

(1) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 218.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 88.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 279.

ثَلاثَةٌ لَيْسَ لَها نِهايَةٌ *** الأمنُ والصِّحَّةُ والكِفايَةُ[1]

سرُّ تقديم الأمن على الطّمأنينة:

الأمن توطئةُ الطّمأنينة، فإذا غاب حضر الخوف والحُزن

قَدَّم النَّظمُ الكريم الأمنَ على الطَّمأنينة في جملةِ صفةِ القرية ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ لأنَّ الأمنَ أهمُّ أمرٍ خارجيٍّ عن الإنسان، والطَّمأنينة أمرٌ داخليٌّ فيه، ولا يتحقَّق الدّاخليُّ إلّا بتوفُّر الخارجيِّ.

فالأمن ما يَبحث عنه النّاس أوَّلا في هذه الحياة الدُّنيا، فإنْ تَحقَّق سَهُل احتمالُ فقدانِ ما دونه من بقيَّة أسباب السَّعادة والهناءة، أمّا إنْ فُقِد الأمن فلا قيمة لشيءٍ سواه من تلك الأسباب.

ويلتقي مع ذلك التَّرتيب ما ورد في الحديث الشَّريف بخصوصه؛ إذ يُقدِّم الرَّسول ﷺ الأمن أيضًا، فيقول: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُم آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قوتُ يَوْمِهِ – فكَأنَّما حيزَتْ لَهُ الدُّنْيا"[2].

وإلى ذلك فـ "الاطمئنان أثرُ الأمن ولازِمُه؛ مِن حيثُ إنَّ الخوف يوجب الانزعاج، وينافي الاطمئنان"[3]؛ إذ "الأمنُ: السَّلامةُ مِن تَسَلُّط العدو، والاطمئنانُ: الدَّعَةُ وهُدوءُ البال، فقُدِّم الأمنُ على الطَّمأنينة إذ لا تحصل الطَّمأنينة بدونه"[4].

بلاغةُ اختلاف الصِّيغتين ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾ و﴿يَأْتِيهَا﴾:

مِنَ النِّعم ما يلزم دوامها، ومنها ما يفتقر النّاس إلى تجدُّدها

جاءت جملةُ الصِّفة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ فعليَّة مخالِفةً في السَّبْك اللُّغويِّ لِجُملة الصِّفة الأولى ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾، فقد جاءت الأولى اسميَّةً، وجاءت الثّانية فعليَّة، مع أنَّ كلًّا مِن ﴿ءَامِنَةً﴾، و﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾، و﴿يَأْتِيهَا﴾: أخبارٌ.

لكن دِقَّة النَّظْم الكريم اقتضتْ في الصِّفة الثّانية ﴿يَأْتِيهَا﴾

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 279.
(2) الترمذي، سنن الترمذي، الحديث رقم: (2346).
(3) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 477.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 305.

"تغيير سبكها عن الصِّفة الأولى لِما أنَّ إتيانَ رزقِها متجددٌ، وكونَها آمنةً مطمئنَّةً ثابتٌ مستمرٌّ"(1)، وتَجدُّدُ الرِّزْقِ يوحي بتنوُّعه أيضًا، وثباتُ الأمن والطَّمأنينة يَعني دَوامَ راحةِ البال، وكلُّ ذلك يحقِّق الحياة السَّعيدة الهانئة الخالية من المنغِّصات.

بلاغة إسناد الإتيان إلى الرِّزق:

بيانُ يُسْرِ العيش وسَعَةِ الرِّزْقِ

وصَف الله تعالى القرية بإتيان الرِّزْقِ على الحال المَذْكورَة؛ وذلك لأنَّ "الإتيانَ مَجيءٌ بسهولة"(2)؛ ففي جملة ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾: "بيانٌ لِسَعَةِ عيْشها، أيْ: يأتيها ما يحتاج إليه أهلُها واسعًا لَيِّنًا سهلًا"(3)، "يُجْلَب إليها من كلِّ بلدٍ، كما قال الله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: 57]"(4).

وفي إسناد الإتيان إلى الرِّزْقِ مجاز عقليٌّ؛ إذ الرِّزْقُ لا يأتي مِن تلقائه إلى أهل القرية، وإنَّما يُؤْتَى به إليهم فيها، لكن الرِّزْقَ - وقد قَضى به الرَّزّاقُ ﷻ، وكتبه لهم - كأنَّه تعلَّق بهم؛ فيأتي إليهم اندفاعًا، ولِأيسر الأسباب، دون كَبيرِ كُلْفَةٍ، أو ثَقيلِ سَعْي.

تَوْجيهُ المَخْصوصِ بِالذِّكْرِ ﴿رِزْقُهَا﴾:

أنواعُ الرِّزْقِ لا تنحصر، وضامِنُها شُكْرُ الرَّزّاقِ

"حقيقة الرِّزْقِ: ما به النَّفْعُ، ويُطلَق على الطعام"(5)، فقوله تعالى: "﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ فيه وجهان: أحدُهما: أقواتُها، الثّاني: مرادُها"(6)؛ وبذلك يجتمع للقرية وأهلِها تَوافُر أسْبابِ النَّعيم كلِّها، من الأمن والطَّمأنينة، والطَّعام تفصيلًا، ومن كلِّ ما يُحْتَمَلُ أنْ يُريده أهل القرية إجمالًا.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص: 60.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 246.
(4) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 88.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/ 271.
(6) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 217.

وبهذا يتحقَّق للأسلوب التَّدرُّج من التَّفصيل إلى الإجمال؛ إذ الرِّزْقُ بهذا التَّأويل "مرادُها" يتَّسع لكلِّ ما سَبَقَ وزيادة؛ فالأمن رِزقٌ، والطَّمأنينة رِزْقٌ، والطَّعام رِزْقٌ، والوئام بين أهل القرية رِزْقٌ، وخصَّ الرِّزْقَ بالذِّكر للفتِ الأنظار إلى صفة الرَّزاقِ سبحانه، وإلى أنَّ كلَّ ما أتاها من نِعَمٍ لا تُحصى ولا تُعدُّ راجعة إلى المُنعم سبحانه.

بلاغةُ تقييد إتيان الرِّزْقِ بـ ﴿رَغَدًا﴾:

جاء تقييدُ الإتيان بالرِّزْقِ بالحال ﴿رَغَدًا﴾ مُتَمِّمًا لذكرِ الأمن والطَّمأنينة المذكورَيْن قبله، وفي ذلك التَّرتيب تسلسُلٌ تَصاعُديٌّ؛ إذ لا رَغَد إلّا بعد توافُرِهما، أمّا هما فقد يتحقَّقان بدونه، فقد يأْمن العبد ويطمئنُّ وفي عَيْشِه بعضُ شَظَف، ففي النَّص على ذِكر الرَّغَد بيانٌ لدرجة النَّعيم إلى أعلاه.

مِنْ رَغَدِ العَيْشِ تَـوافُـرُ الأمـنِ والطَّمأنينة دون عَـكْـسٍ، فهو غاية الغايات

ومعنى ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ أيْ: كثيرًا واسعًا، وافرًا، طيبًا هنيئًا، سهلًا، لا عناء فيه ولا تقتير[1]، و"تَيْسيرُ الرِّزْقِ فيها من أسباب راحة العيش"[2]، التي به تَكْتَمِلُ عليهم، وفيهم مع السَّببين السّابقين سُبُلُ النَّعيم؛ فـ "الآية الكريمة قد تضمَّنت أمهات النِّعَم: الأمان والاطمئنان ورغد العيش"[3].

معنى حرف ﴿مِن﴾:

تقييد إتيان رِزْقِ القرية بالجارِّ والمجرور ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾، يُشيرُ إلى ابتداء غاية ذلك الإتيان؛ ممّا يجعل تلك القرية مَصَبَّ الرِّزْقِ الآتي من كلِّ مكانٍ في الأرض، وذلك يَتَناسَبُ مع قوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: 57] في توجيه المَثَل نَحْوَ مكَّة المكرَّمة؛ فهي المركز الَّذي يَطوفُ به النّاس، وتدور به وحوله الأرض، أي: ﴿كُلِّ مَكَانٍ﴾.

كَـثْرَةُ الـرِّزقِ لا تمنع العقوبة ولا ترفع العذاب

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 585، والماوردي، النكت والعيون: 3/ 218، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 432، 14/ 305.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 305.

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 247.

ففي ذلك القَيْدِ ﴿مِّن كُلِّ﴾ بيانٌ لعُلوِّ قَدْرِ القرية، المَضْروبِ بها المَثَلُ، وذلك لن ينفع أهلَها إنْ كفروا بأنْعُمِ الله تعالى، وإنْ كذَّبوا رسوله ﷺ؛ فتلك سُنَّةُ الله تعالى في خَلْقه؛ فلْتَحْذَرِ المُجتَمعات المُنَعَّمَةُ من كُفْرانِ النِّعْمَةِ، وعدم القيام بشكر مُنْعِمِها ﷻ.

دلالة التَّعبير بصيغةِ العموم ﴿كُلِّ﴾:

كَـــثْرَةُ الـنِّـعَـمِ تقتضي الشُّكر لا الكفر

في النَّصِّ على لفظ العموم ﴿كُلِّ﴾ قطْعٌ بأنَّ الأرزاق تُنقل إلى تلك القرية "من كلِّ بلدٍ، وتُحمَل إليها من كلِّ مكان برًّا وبحرًا"[1]، فإنْ كان المقصود بها مكَّة على وجه الخصوص، فالسَّبب في ذلك "إجابة دَعْوَةِ إبراهيم ﷺ، وهو قوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: 37]"[2]، وقد يكون العموم في "﴿كُلِّ مَكَانٍ﴾ بمعنى من أمكنةٍ كثيرة، و﴿كُلِّ﴾ تُسْتَعْمَلُ في معنى الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الأنعام: 25]"[3].

وذلك العموم يتآزر مع عناصر التَّركيب على بيان وفْرَةِ أسباب النَّعيم؛ ممّا كان يقتضي من أهل القرية شُكْرَ المُنْعِم ﷻ لا كفره وتكذيب رَسوله ﷺ.

نكتةُ ذِكر ﴿مَكَانٍ﴾ دون (بَلد):

المـكـــان يَـعُـمُّ المَسْكونَ وغيره بخلاف البَلد

في إيثار لَفْظِ ﴿مَكَانٍ﴾ دون (بَلد) تآزُرٌ بَيِّنٌ مع دلالة لفظ العموم ﴿كُلِّ﴾؛ إذِ المكان "المَوْضِعُ"[4] مُطلقًا؛ فيشمل بقاع الأرض وجهاتها كلّها حقيقة، أمّا التَّعبير بـ (كل بلد)، فيُشَكِّلُ بقاع الأرض تجوُّزًا، وقوله "﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني منها بالزِّراعة، ومن غيرها بالتِّجارة؛ ليكون اجتماع الأمرين لهم أوفرَ لِسكَنهم وأعمَّ في النِّعمة عليها"[5]،

(1) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 688.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 279.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مكن).
(5) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 218.

فلمّا قال ﴿مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ دلَّ على أنَّ الأرزاق تأتي من الأماكن المسكونة وغير المسكونة، وهذا أليق بالعموم المناسب للمَثَل.

معنى الفاء ودلالتها في جملة: ﴿فَكَفَرَتْ﴾:

الطُّغيان سبب زوال النِّعم

أفاد حرف الفاء ﴿فَكَفَرَتْ﴾ معنى السببيّة، إذ "لمّا كانت السَّعَة تَجُرُّ إلى البَطَر غالبًا نبَّه تعالى لهم ذلك بالفاء فقال تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ﴾"[1]؛ ويمكن أن تكون الفاء للترتيب الزمني، فـ "اقتران الفعل ﴿فَكَفَرَتْ﴾ بفاء التَّعقيب بعد جملة: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ باعتبار حصول الكُفر عقب النِّعم الَّتي كانوا فيها حين طرأ عليهم الكُفر، وذلك عند بعثة الرَّسول ﷺ إليهم"[2]، ففيه بيان سرعة الكفر بعد كَثرة النِّعم، فهو تحذيرٌ عظيم من الوقوع فيه.

والمقصود بِكُفْر القريةِ النِّعمةَ أنَّها "جحدت آلاء الله تعالى عليها، وأعظمُ ذلك بعثةُ محمَّدٍ ﷺ إليهم، كما قال تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: 28-29]، ولهذا بدَّلهم الله ﷻ بحالَيْهِم الأوَّلَيْن خلافَهما، فقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾"[3].

توجيه ذِكر الكفر دون الجُحود:

الكُفْرُ أعـمُّ من الجُحود وأغلب في أهل القرية

الكُفْرُ ظُلمةٌ تُغطّي على قلب الكافر وعقله؛ فلا يَسْتَبْصِرُ الفرق بين الحقِّ والباطل، "وأصل الكُفْر التَّغطية على الشَّيْء، السَّتر لَهُ، فكَأن الكافِر مُغَطًّى على قلبه"[4]، أمّا الجُحود "فالإنكار مع العِلْم"[5]؛ وهو وإنْ تأتَّى لِكُبَراءِ الكافرين، لم يتأتَّ لِعَوامِّهِم، فيكون كُفر الَّذين يعلمون الحقيقة وينكرونها تغطيةً منهم لها، ويكون كُفر الَّذين لا

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 11/ 264.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 608.
(4) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كفر).
(5) الجوهري، الصحاح في اللغة: (جحد).

يعلمونها - وإنَّما تابعوا عليه كبارهم - تَغْطيَةٌ على قلوبهم وعقولهم هم؛ فكان الكُفْرُ أعَمَّ للجميع من الجُحود وأغلب في أهل القرية؛ فآثره النَّظْمُ الكريم هنا والله تعالى أعلم.

فقوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ يكون "بِتَرْكِ شُكْره وطاعته، وبِأنْ لا يؤدّوا حقَّها مِن مواساةِ الفقراء وإسعاف ذوي الحاجات"[1]، أو أنَّ أهلها "كذَّبوا النَّبيَّ ﷺ وخالفوا أمرَه"[2].

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بِأَنْعُمِ﴾:

مادَّة الكُفر تتعدَّى بنفسها، فيقال: كَفَرَ النِّعْمَةَ، أيْ أنكرها عن عِلْم بأنَّها نعمة، أو عن غير عِلْم؛ لذلك تتوجه الباءُ في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ إلى معنى السببيّة، وتُعطي دلالةَ تَضْمينِ الفِعْلِ (كَفَرَتْ) معنى الأفعال: (طغتْ، وبغتْ، وظلمتْ، وتعالتْ، واستكبرتْ)، فلا يَقْتَصِرُ المعنى على عدم شُكْرِ المُنْعِم على تلك الأنعُم، بل استعملوها في معصيته، وتجبَّروا بها، وبَغَوا، فتَضاعَفَ جُرمهم.

يتضاعف جُرْم الكافر عند استعمال النِّعْمَةِ في المعصية

ولو جُعِلتِ الباءُ للتعدية، فإنه يمكن أن يُضَمَّن الفعلُ معنى الاستهزاء، أي: (كفرَتِ القريةُ أنعُمَ اللهِ مُستَهزِئةً بها)؛ فلم يكتَفوا بكفر النعمة وجحودها وإنكارها وعدم شكرها، بل ازدادوا طغيانًا وظلمًا بأن استهزؤوا بها.

أو يُحمَل معنى التعدية في الباء على حذف في المعنى، أي: (كفرتْ بمُنعِم الأنعُم)، كما اختاره الإمام ابن عاشور رحمه الله: "ومعنى الكُفْرِ بِأنْعُمِ الله تعالى: الكُفْرُ بالمُنْعِم ﷻ؛ لأنَّهم أشركوا غيره في عبادته، فلم يشكروا المُنْعِمَ الحَقَّ، وهذا يُشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [النحل: 83]"[3].

(1) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 218.
(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 88.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.

نكتةُ الجمع على وزن (أفعُل):

التَّنْبيهُ بالقليل على الكثير تحذيرٌ للسَّعيد وحُجَّة على العنيد

آثرتِ الآية اختيار صيغة (أفعُل) دون صيَغِ الجموع الأُخرى في قوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ و"الأنعُم جمع قِلَّة، والمعنى: أنَّ أهل تلك القرية كفرت بأنواعٍ قليلَةٍ من النِّعَم، فعذَّبها الله ﷻ، والمقصودُ التَّنْبيهُ بالأدنى على الأعلى، يعني أنَّ كُفْرانَ النِّعَم القليلة لمّا أوْجَبَ العذاب، فكُفْران النِّعَم الكثيرة أوْلى بإيجاب العذاب"[1]؛ فـ "إيثارُ جمعِ القِلَّةِ للإيذان بأنَّ كفرانَ نِعمة قليلة حيث أوْجَبَ هذا العذابَ فما ظَنُّكَ بكفران نِعَم كثيرة"[2]، فدلَّت صيغة (أفعُل) الدّالة على القِلَّةِ على أنَّ القرية كفرت ببعض الأنْعُم، فأذاقها الله ما أذاقها، فكيف بمن كفر بنِعَم الله تعالى الكثيرة، فهذا من التَّنْبيهِ بالأدنى على الأعلى وبالقليل على الكثير.

دلالةُ إضافة الأنعُمِ لِلَفْظِ الجلالة:

يـزدادُ ذمُّ الكفرِ بالتَّصريحِ بكون الأنْعُمِ من الله تعالى

في إضافة الأنْعُم إلى الاسم الجليل ﴿ٱللَّهِ﴾ يُضفي عليها عظمةً وجمالًا، ويوجِبُ لأجل الأنْعُم شكرَه ﷻ على القرية المنعَم عليها ما لا يوجبه تعريف تلك الأنْعُم بـ (أل)، وفي المُقابِلِ فإنَّ هذه الإضافة تزيد من ذمِّ القرية التي كفرت بهذه الأنْعُم، إذ إنَّها لم تكفر بأيِّ أنْعُم، وإنَّما بأنْعُم الله الواحد القهّار، ومعنى الإضافة هو حرف مِن، أيْ: أنعمٌ من الله تعالى.

معنى الفاء ودلالتها في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾:

كلُّ نِعمَة تُكْفَرُ فتـزول فـإلى نقمة تؤول

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ عاطفة للتَّعقيب[3]، لكنَّه "تعقيبٌ عُرْفيٌّ في مثل ذلك المعقَّب؛ لأنَّه حصَل بعد مُضيِّ زمنٍ عليهم، وهم مصرّون على كفرهم، والرَّسول ﷺ يُكرِّر

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 279.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 146.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 375.

الدَّعوة وإنذارهم به، فلمّا حصَل عقب ذلك بِمُدَّةٍ غيرِ طويلة، وكان جزاءً على كُفرهم، جُعِل كالشَّيءِ المُعقَّبِ به كفرُهم"[1].

وعلى ذلك ففي العطف بفاء التَّعقيب هنا إيحاء بأنَّ نعيمًا تَعْقُبُهُ عقوبةٌ لا قيمة له، وأنَّه مهما تطاول على صاحبه سيُطوَى ولا يبقى له أثر، وإنَّما الَّذي يبقى عليه ألَمُ العقوبة وثِقَل معاناتها، كذلك توحي الفاء بأنَّ "الإجْحاف في إيفاءِ النِّعمَة حَقَّها مِن الشُّكر يُعَرِّضها للزَّوال وانقلاب الأحوال"[2].

بلاغةُ إظهار ما حقُّه الإضمار:

على قَدر فظاعة الكفر يكون عِظم العقوبة

آثَرَ النَّظْمُ الكريم إظهار فاعل الإذاقة في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ بعد سَبْق ذِكره مضافًا إليه في جملة: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾، ومُقتضى الظّاهر إضماره، كأنْ يُقالَ: (فكفرت بِأنْعُمِ الله فأذاقها لباس الجوع)، ولا مرجع لفاعل الإذاقة حينئذٍ إلّا هذا الاسم الجليل، المضافُ إليه الأنعُمُ.

وتكمن نُكتة الإظهار في إبراز شدَّة الانتقام في العقوبة؛ ذلك أنَّ كفرهم كان ﴿بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾ على جلالتها وعظمتها وخطورتها وعُلو قَدْرِها وقيمتها؛ فناسب ذلك أنْ يكون الانتقام مسندًا إلى الله تعالى في وضوح وصراحة، فقال: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ﴾؛ فكان هذا الانتقام مكافئًا في شدَّته وعظيم خطره وشدَّة وطأته لذلك الكفر الشَّنيع.

بلاغة المجاز العقليّ في إيقاع الإذاقة على القرية:

شُؤم المعاصي يفيض مِنْ أصحابها على مَنْ حولهم

في إيقاع فِعل الإذاقة على القرية في قوله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا﴾ مجازٌ عقليٌّ في النِّسبة الإيقاعيَّة؛ إذ القرية لا تُذاق ولا تذوق، وإنَّما

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 306.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 181.

المقصود "أذاق أهلَها"[1]؛ وذلك "بسبب ما كانوا يصنعونه من الكفر والجحود والعُتوِّ عن أمر الله تعالى ورُسله ﷺ.

غير أنَّ الصّورة جاءت بـ "إيقاعِ الإذاقة عليها إرادةً للمُبالغة"[2]؛ وكأنَّ القرية قد عالجت لباس الجوع والخوف مثلهم؛ وعانتْ عقابهم، وكأنَّ شُؤْم صنيعهم المَقيت قد عَمَّ جميع ما حَوالَيْهم مِن البقاع وما عليها من الحيوان والنَّبات والجماد، كما كان كلُّ ذلك ينعم بأنعُمِ الله تعالى أيّام أنْ كانت تأتيهم رغدًا من كلِّ مكان.

براعةُ اجتماع استعاراتٍ فريدة ومعانٍ تليدة:

في قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾، صورةٌ بيانيَّة بديعة؛ فقد "شُبِّه أثرُ الجوعِ والخوف وضررُهما المُحيطُ بهم باللِّباس الغاشي لِلّابس؛ فاستُعير له اسمُه وأوقِع عليه الإذاقةُ المُستعارة لِمُطْلَقِ الإيصالِ المُنْبِئَةِ عن شدَّة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراكَيْ اللّامسةِ والذّائقة، أو شُبِّهَ أثرُهما وضررُهما من حيث الإحاطةِ بهم والكراهةِ لديهم تارة باللِّباس الغاشي، وأخرى بطعم المرِّ البشعِ الملائمِ للجوع"[3].

كُـفْـرانُ الأنْـعُـمِ يُفاقم على أهله أنـــواع الـضُّـرِّ الدّاخليِّ والبؤس الخارِجيِّ

و"الإذاقة: حقيقتها إحساس اللِّسان بأحوال الطُّعوم، وهي مستعارة هنا وفي مواضع من القرآن إلى إحساس الألم والأذى إحساسًا مكينًا كتمكُّن ذوق الطَّعام من فم ذائقه لا يجد له مدفعًا ... واللِّباس: حقيقته الشَّيء الَّذي يُلْبَسُ، وإضافته إلى الجوع والخوف قرينة على أنَّه مُسْتَعارٌ إلى ما يَغْشَى من حالة إنسان ملازِمة له كمُلازمة اللِّباس لابسَه.

ولَمّا كان اللِّباس مُستعارًا لإحاطة ما غشيهم من الجوع والخوف

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 194.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 146.

وملازمته، أُريدَ إفادة أنَّ ذلك مُتَمَكِّنٌ منهم ومُسْتَقِرٌّ في إدراكهم استقرارَ الطَّعام في البطن، إذ يُذاقُ في اللِّسان والحَلْق، ويُحَسُّ في الجوف والأمعاء، فاسْتُعيرَ له فِعْلُ الإذاقة تمليحًا وجمعًا بين الطَّعام واللِّباس؛ لأنَّ غاية القِرى والإكرام أن يُؤَدَّى للضَّيف ويُخْلَعَ عليه خَلْعَةً مِن إزار وبُرد، فكانت استعارتان تَهَكُّميَّتان، فحصَل في الآية استعارتان: الأولى: استعارة الإذاقة، وهي تَبَعيَّةٌ مُصَرَّحَةٌ، والثّانية: اللِّباس وهي أصليَّة مُصَرَّحَةٌ.

ومن بديع النَّظْم أنْ جُعِلَتِ الثّانية مُتَفَرِّعَةً على الأولى ومُرَكَّبَةً عليها بجَعْل لفظها مفعولًا للَّفظ الأولى، وحصَل بذلك أنَّ الجوع والخوف محيطان بأهل القرية في سائر أحوالهم وملازمان لهم وأنَّهم بالغان منهم مبلغًا أليمًا"[1].

وهكذا يتجلَّى أنَّ الصّورة في قول الله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ مُتَكاثِفَةُ الظِّلال، مُتَآزِرَةُ البيان، مُتفرِّدة التَّركيب، وهي - عند التَّحقيق - صورتان استعاريَّتان مدمجتان في صورة: إحداهما تعالج بُؤْسَ المَظْهَرِ، والأُخرى تُبين عن ضُرِّ المَخْبَرِ، وتحت كلٍّ منهما بعد ذلك صوَرٌ بيانيَّة دقيقة، وقد رُكِّبتْ تلك الصّوَر تركيبًا جعلها متعانقة تعانُقًا يعكس تفاقم العقوبات المجتمعة على أهل تلك القرية الكافر أهلُها بِأَنْعُم الله تعالى.

ويتَقرَّر ذلك بفكِّ الارتباط بين هاتين الصّورتين الكبيرتين على النَّحو الآتي:

الصّورة الأولى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾، وأصلها: فأذاقها الله مرارة الجوع، وهذه تتعلَّق بمرارة المَخْبَرِ الدّاخليِّ.

الصّورة الثّانية: وكساها الله مرارة الخوف، وأصلها: وكساها الله لباس الخوف، وتلك تتعلَّق بامتِقاعِ المظهر الخارجيِّ.

وقد أبقى النَّظمُ الكريم مِن الصّورة الأولى على الإذاقة والجوع، وحذف منها المرارة، وأبقى مِن الثّانية على اللِّباس والخوف - باعتبار عطفه على المضاف إلى اللِّباس فكأنَّه قيل: لباس الجوع ولباس الخوف - وحذف منها الكسوة.

وبذلك دلَّ على الجميع دَفعَةً، وتمَّم البيان في شكل تركيبيٍّ بديع وتعانُقٍ نظميٍّ فريدٍ، ليس للعربية به قبلَه عهدٌ، ولا يكون إلّا لِلُغَة الذِّكر الحكيم.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 303.

والتَّعبير الحقيقي لهاتين الصّورتين: فأذاقها الله تعالى مرارة الجوع – وهذه حقيقة كلُّها –، وكساها الله تعالى رداء الخوف، وفي هذه صورة دقيقة متفاعلة؛ إذ الكُسْوَةُ هنا تشقُّق الجلد، وامتِقاعُ اللَّون، وصُفرة الخوف، وكلُّه ناضحٌ من شدَّة تأثير الدّاخل المأزوم، عامٌّ لكلِّ الجسد كاللِّباس الشّامل.

"ففي الجملة الكريمة تصوير بديع لِما أصابهم من جوع وخوف، حتَّى لكأنَّ ما هم فيه من هُزال وسوء حال، يبدو كاللِّباس الَّذي يَلْبَسُهُ الإنسان، ويجعلهم يذوقون هذا اللِّباس ذوقًا يحسّون أثره إحساسًا عميقًا"[1].

وهكذا تعانقت الصّور، وتآزر البيان في غير مُعاظَلَةٍ ولا تعقيد، فتَكاثَفَتِ الظِّلال الكاشفة عن شدَّة وطأة العقوبات المنوَّعة، المتضافرة على إرهاق القوم الَّذين كفروا بأنعُم الله تعالى.

بلاغةُ القرآن في استعارة اللِّباس للذَّوق:

دقَّـةُ النَّـظـم لا تـخـضـع لمنطق الـصِّـنـاعـة ولا لرياضة المنطق

ربّما يَعرضُ تساؤل: "اللِّباس لا يُذاقُ بل يُلْبَسُ، والواجب أنْ يُقالَ: فكساهم الله لباس الجوع، أو يُقالَ: فأذاقهم الله طعم الجوع، والجوابُ مِن وجوه:

الوجه الأوَّل: أنَّ الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان، **أحدهما**: أنَّ المَذوقَ هو الطَّعم، فلمّا فقدوا الطَّعام، صاروا كأنَّهم يذوقون الجوع، **والثّاني**: أنَّ ذلك الجوع كان شديدًا كاملًا، فصار كأنَّه أحاط بهم من كلِّ الجهات، فأشبه اللِّباس، فالحاصل أنَّه حصل في ذلك الجوع حالة تُشْبِهُ المَذوقَ، وحالة تُشْبِهُ المَلْبوسَ، فاعْتَبَرَ الله تعالى كِلا الاعتبارين، فقال: فأذاقها الله لباس الجوع والخوف.

الوجه الثّاني: أنَّ التَّقدير أنَّ الله عرَّفها لباس الجوع والخوف،

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 247.

إلّا أنَّه تعالى عبَّر عن التَّعريف بلفظ الإذاقة، وأصل الذَّوْقِ بالفم، ثمَّ قد يُسْتَعارُ فيوضَعَ مَوْضِعَ التَّعرف وهو الاختبار ... ولباس الجوع والخوف هو ما ظهر عليهم مِن الضُّمورِ وشحوب اللَّون ونَهْكَة البدَن وتَغَيُّرِ الحال وكسوف البال.

الوجه الثّالث: أنْ يُحمَل لفظ اللُّبس على المُماسَّةِ، فصار التَّقدير: (فأذاقها الله مساس الجوع والخوف)"[1].

قال الآلوسي: "وإنَّما لم يَقُلْ: (فكساها) إيثارًا للتَّرشيح لِئلّا يفوت ما تفيده الإذاقة من التَّأثير والإدراك وطعم الجوع؛ لِما في اللِّباس مِن الدّلالة على الشُّمول"[2].

و"اللِّباس: هو ما يستر وجوه الجواهر، ألّا ترى أنَّه سَمَّى اللَّيل لباسًا؛ لَمّا ستر وجوه الأشياء؛ فعلى ذلك الجوع يرفع السَّتر واللِّباس الَّذي كان قبل الجوع؛ لأنَّ الجوع إذا اشتدَّ غَيَّرَ وجه صاحبه، ورفع سَتْرَهُ، والجوع: ما ذكر أنَّه أصابهم جوع حتَّى أكلوا الكلاب والجيف والعظام المُحْرَقَة"[3]؛ فـ "جعل الجوع والخوف لباسًا على التَّجسيم والتَّشبيه تصويرًا له، وذلك بحسب ما يقولون: تدرَّع فلان الفقر"[4]، قالوا: "إنَّ القحط بلَغ بهم إلى أنْ أكلوا القِدَّ والعِلْهِزَ، وهو الوبر يُخْلَطُ بالدَّم، والقِدُّ أديمٌ يُؤْكَلُ، قاله ابن عبّاس ومجاهد وقَتادة"[5].

فقد "شبه ما يغشى الإنسان ويَتَلَبَّسُ به من أثر الجوع والخوف باللِّباس الحقيقيِّ، والجامع: كونهما مشتَملين على الإنسان وغاشيين له، ثمَّ أطلق اسم اللِّباس على ما يغشى الإنسان من أثرهما، وجعل إضافته إليهما قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة، فهي استعارة مُصَرَّحَةٌ أصليَّة تحقيقيَّة؛ لكون المُشَبَّهِ المَتْروكِ عقليًّا"[6] يكشف ما "ظهر عليهم من سوء آثارهم بِالضَّمَرِ والشُّحوب، وتَغَيُّرِ الحال"[7].

بلاغة المقابلة بين صورتي النَّعيم والعذاب:

تَبْدو براعة النَّظْمِ الكريم غيرَ متناهية في الجمع بين تلك الصّورة الأليمة بعد كُفر

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 280، وما بعدها مختصَرًا.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 477.
(3) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 585.
(4) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص: 735.
(5) الماوردي، النكت والعيون: 3/ 218.
(6) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 9/ 210.
(7) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 88.

النِّعم إن شُكرت بقيتْ وإن كُفرت فرَّت وفرارها ألمٌ لا يزول

أهل القرية بأنعُم الله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾، وبين صورة النَّعيم قبل كفرهم بأنعُم الله تعالى: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾.

فصورة النَّعيم بتفاصيلها ودقائقها تُبين عن غاية الغايات في تحقُّق الأمن الغذائيِّ، والسَّلام الاجتماعيِّ، والأمان الرّوحيِّ، وغيرها من أسباب السَّعادة، بينما تكشف صورة العقاب - بتفاصيلها أيضًا - عن شدَّة البؤس وكمال الضُّرِّ الَّذي عاناه القوم داخلَ أبدانهم وخارجها.

وتلك المفارقة بين أنْعَم حياة وأبْأسِ حياة في هذه الدُّنيا هي التي تكشف اتِّساع الهوَّةِ بينهما، وتَزيد كلًّا منهما في بابها تمامًا؛ فتُرغِّب في شُكْرِ أنْعُمِ الله تعالى، وتخوِّف من كفرانها، وتَضْمَنُ تأثُّر العباد واتِّعاظهم بمآل القوم الكافرين.

سرُّ تقديم الجوع على الخوف:

تـقـديـمُ مـا له حُـكـم الـسَّـبَـبِ على ما له حُكم المُسَبَّبِ

قُدِّم ذِكر الجوع على الخوف في قوله تعالى: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ "لكونه أنسبَ بالإذاقة، أو لمراعاة المقارنة بينها وبين إتيان الرِّزقِ"[1]؛ ولأنَّ الجوع يُعدُّ إحدى مقدِّمات الخوف، فإذا وقع الجوع في قريةٍ، فإنَّ الخوف يتطرَّق إليهم من كلِّ جانب، فقُدِّم ما له حُكم السَّبب على ما له حُكم النَّتيجة؛ كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: 4].

براعة فنِّ الاحتباك:

صـــوَرُ الـقـرآن الكريم مُتفرِّدة في تراكيبها ونَشْر ظلالها

جَليٌّ أنَّ الصّورة في قول الله تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ مُتَكاثِفَةُ الظِّلال، متآزرة البيان، مُتفرِّدة التَّركيب، وهي - عند التَّحقيق - صورتان استعاريَّتان مُدمجتان في صورة:

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.

إحداهما تعالج بؤس المظهر، والأُخرى تُبين عن ضُرِّ المخبر، وتحت كلٍّ منهما بعد ذلك صوَرٌ بيانيَّة دقيقة.

ويتقرَّر ذلك بفكِّ الارتباط بين هاتين الصّورتين الكبيرتين على النَّحو الآتي: الصّورة الأولى: فأذاقها الله لباس الجوع، وأصلها: فأذاقها الله مرارة الجوع، وهذه تتعلَّق بمرارة المخبر الدّاخليِّ.

الصّورة الثّانية: وكساها الله مرارة الخوف، وأصلها: وكساها الله لباس الخوف، وتلك تتعلَّق بِامتِقاع المظهر الخارجيِّ.

وقد أبقى النَّظْمُ الكريم من الصّورة الأولى على الإذاقة والجوع، وحذف منها المرارة، وأبقى مِن الثّانية على اللِّباس والخوف - باعتبار عطفه على المضاف إلَى اللِّباس فكأنَّه قيل: لباس الجوع ولباس الخوف - وحذف منها الكسوة، فجاء "ذلك على تقدير كلامين، كأنَّه قيل: أذاقها الجوع والخوف وألبسها لباسهما"[1]، وبذلك تحقَّق الاحتباك البلاغي البديع في دَمج الصّورتين.

وفضيلة ذلك الاحتباك أنَّه دلَّ على الجميع دَفعَةً، وتمَّم البيان في تَعَتْكُلٍ تركيبيٍّ بديع وتعانُق نظميٍّ فريد، يعكس تفاقُم العقوبات المجتمعة على تلك القرية، الكافر أهلُها بِأنْعُم الله تعالى، وليس للعربيَّة بمثل ذلك التركيب المُحتبِك عَهْدٌ، ولا يكون إلّا لِلُغَة الذِّكر الحكيم.

والتَّعبير الحقيقيُّ لهاتين الصّورتين: فأذاقها الله تعالى مرارة الجوع - وهذه حقيقة كلّها -، وكساها الله تعالى رِداءَ الخوف، وفي هذه صورة دقيقة متفاعلة؛ إذ الكسوة هنا تشقُّق الجلد، وامتِقاعُ اللَّون، وصُفرة الخوف، وكلّه ناضحٌ من شدَّة تأثير الدّاخل المأزوم، عامٌّ لكلِّ الجسد كاللِّباس الشّامل.

معنى التَّعريف في لفظي ﴿ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾:

تعريف ﴿ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾ يوحي بأنَّهما البالغان في بابهما في العقوبة مبلغًا لا مزيد عليه؛ ذلك أنَّهم كفروا ﴿بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ﴾، ومَنِ ارتكب تلك الخطيئة كان حقيقًا بأنْ يُشقيه الله

(1) الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب: 9/ 209.

تعالى بالجوع المُؤلِم، ويشمله في البؤس المُدْقِع، وهَذانِ اللَّفظان يدخل فيهما جميع صور الجوع والخوف، ممّا يعرفه المخاطَب، ومن ذلك "الخوف: ما ذُكر أنَّه بعث رسول الله ﷺ إليهم؛ ألا ترى أنَّه قال: "وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مِنْ مَسيرَةِ شَهْرَينِ"، وقيل: الخوف: القتل"[1]، وأنَّ الخوف "من السَّرايا التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم"[2].

الجوعُ والخوف معنيان كلّيّان يدخل فيهما جميع الفروع

معنى الباء ودلالتها:

الباء في قول الله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ "حرفُ جرٍّ للسَّببية، أيْ: بسبب صنعهم أو بسبب الَّذي كانوا يصنعونه"[3]، فهو صريح في أنَّ السَّبب المُباشر لنزول تلك العقوبة المؤذية للبواطن والظَّواهر: الجوعُ والخوفُ بأهل القرية - إنَّما هو كفرهم بأنعُمِ الله تعالى.

عـــذابُ الـلـه تـعـالى لا يكون إلّا بسبب صنيعِ ابن آدم

فجاءت أداة السَّبَبيَّةِ هنا صَريحَةً مُباشِرَةً لِزيادة البيان التَّحذيريِّ للمُتلقّي - أيّا كان - من اقتراف ذلك السَّبب - الكفر بنِعمة الله تعالى؛ لأنَّه الجالب المُؤكَّد لعقوبة إذاقة لباس الجوع والخوف.

معنى (ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ "موصولة، والعائد محذوف، أي: يصنعونه، وجوِّز أن تكون مصدريَّة"[4]، أيْ: بصنعهم، والمعنيان مُحتملان، وأنّ تكون موصوليَّة أقوى في الدَّلالة على ديمومة ممارسة الكفر وديدنهم في ذلك، والمصدريَّة صريحة في كون صنعهم هو سبب عذابهم.

احـتـمـال (مـا) لـلـمـوصـولـيّـة والمصدرية

دلالةُ استعمال ﴿كَانُواْ﴾:

الإيجاز يقتضي الاستغناء عن الفعل ﴿كَانُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 585، والحديث رواه السيوطي، برقم: 15950، جمع الجوامع: 6/ 15.

(2) الواحدي، التفسير الوسيط: 3/ 88.

(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 5/ 375.

(4) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 478.

﴿كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾، ولو قيل: (بما صَنَعوا) لصحَّ في المعنى البليغ، غير أنَّ ذلك الإيجاز يُهْدِرُ دلالةً جليلةً، وهي بيان تَغلغُل جريمةِ صناعة الكُفر بأنعُم الله تعالى في سلوكهم وطباعهم التي كانت ديدنهم في كلِّ وقتٍ، فهم كانوا في كلِّ أوقاتهم يصنعون الكفر بِأَنْعُم الله تعالى.

الضَّلال المتأصّلُ في أهـل الكُفر يَـصِـيرُ فيهم سلوكًا مُتقَنًا وسجيَّة راسخة

فالنَّصُّ على الفعل ﴿كَانُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ﴾ يدلُّ على أنَّه رسَخ في "جِبِلّاتِهِم"[1] الَّتي تأصَّلت فيهم "فيما قبلُ، أو على وجه الاستمرار، وهو الكفرانُ المذكور، أُسْنِد ذلك إلى أهلِ القريةِ تحقيقًا للأمر بعد إسنادِ الكفرانِ إليها"[2]، ولـ "الإيذان بأنَّ كفران النِّعَم صار صناعة لهم وخُلُقًا راسخًا فيهم"[3].

سرُّ إيثار لفظ ﴿يَصۡنَعُونَ﴾:

صناعةُ الكُفر دَيْدَنُ المُعذَّبين وسجيَّة المُعانِدِينَ

في إيثار مادَّة الصُّنْعِ دلالة على إتقانهم سلوك الكُفر والعَمدِ إليه، ففي مادة "الصَّنْعَةِ إيذانٌ بأنَّ كفران نِعَمِه ﷻ صار صَنْعَةً راسخةً لهُم وسُنَّةً مسلوكة"[4] منهم.

وفيه دلالة على أنَّ ممارسة الضَّلال جهلًا وبغير عِلْم وبغير عَمدٍ قد يُعفَى عنه، أمّا الصَّنْعَةُ ففيها تكلُّف الكفر، وتعمُّد الضَّلال، بل فيها إتقانهما والتَّفَنُّن فيهما، والعياذ بالله تعالى من حال أهل النّار؛ فدلَّ هذا الاختيار لهذه المُفردة على أنَّ القوم يصنعون الكفر بِأَنْعُم الله تعالى فكرًا وإرادةً وطمأنينةً به وسعيًا إليه، وحربًا على من يُخالفهم بشتَّى الأساليب، ومن كانت صناعتُه المَكْرَ، فلا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّئ إلّا بأهله.

نكتةُ التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَصۡنَعُونَ﴾:

في إيثار التَّعبير بصيغة المضارع ﴿يَصۡنَعُونَ﴾ استحضارٌ لِكفرانهم

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 11/ 266.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.
(3) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 688.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.

بأنْعُم الله تعالى، حتَّى لَكأنَّه حاضِرٌ مُشاهَدٌ؛ وذلك يُبَشِّعه في نَفْس المُخاطَب، ويخوِّفه منه، فيَنْأى بنَفْسه عنه، كذلك في تلك المضارعة ﴿يَصْنَعُونَ﴾ دلالة على تَجدُّد ذلك فيهم، واستمرار وقوعه منهم أزمنة متطاولة؛ ممّا يزيده جُرمًا، ويَسْتَوْجِبُ لأهله إلى العقاب عقابًا.

تَطاوُلُ أهلِ الضَّلال في ضلالهم يَسْتَوْجِبُ لهم شديد العقاب

بلاغةُ حذف مفعول ﴿يَصْنَعُونَ﴾:

حُذِف مفعول الفعل ﴿يَصْنَعُونَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ "أيّ مِن الكُفْر والمعاصي"[1]؛ لقُرب ذِكره في الآية، وهو ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾.

كلمةُ الكُفر بغيضةٌ؛ فلا ينبغي للمؤمن ترديدُها

ثم إنَّ المفعول المحذوف ليس مِنَ الأمور المحبوبة، فيُعاد ذِكرُه، بل هو ممّا يُصان اللِّسان عن ذِكره؛ لأنَّه أخطر المعاصي وأكبر الكبائر، إنَّه كُفْرٌ بالنِّعَم، وجُحودٌ لِحَقِّ الخالِق ﷻ، وتَكْذيبٌ لِرُسُلِه الكرام عليهم السلام.

نوعُ الواو ودلالتها:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ استئنافيَّة[2]، أو عاطفة[3]؛ إذ إنَّ هذه الجملة "مِن تَتِمَّة المَثَل؛ جيءَ بها لِبَيانِ أنَّ ما فعلوه مِن كُفْرانِ النِّعَم، لم يكن مُزاحمةً منهم لقضية العقلِ فقط، بل كان ذلك معارضةً لِحُجَّة الله تعالى على الخَلْق أيضًا"[4].

إلحاقُ العقوبة بتعليلها أرسخ في التَّنبيه والتَّحذير

وقد "ظهر جَليًّا أنَّ حال أهل مكَّة أشبهُ بحال تلك القرية في السّوء واستحقاق العذاب، فقد كانوا في حَرَم آمنٍ، ويُتَخطَّف النّاس مِن حولهم، ولا يَمُرُّ ببالهم طيفٌ من الخوف والفزع، وكانت تُجْبَى إليهم فيه ثمرات كلّ شيءٍ رزقًا من لدنه سبحانه؛ استجابة لدعوة خليله إبراهيم عليه السلام، إذ قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: 126]"[5].

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 194.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 403.
(3) الدعاس، إعراب القرآن: 2/ 178.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 145.
(5) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 689.

غرضُ التَّوكيد وبلاغته:

جاء قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ مُؤكَّدًا بأداتي التَّأكيد والتَّحقيق (اللّام)، و(قد)؛ وذلك "للاهتمام بهذا الخبر؛ تنبيها للسّامعين المُعرَّض بهم؛ لأنَّه محلُّ الإنذار"[1].

تنبيه المخاطَبين وتحذيرهم من مغبَّة أعمالهم

ويبدو أنَّ الخبر المقصود هنا ليس في مَجيءِ رَسولٍ منهم إيّاهم، ولا في أنَّهم كذَّبوه، وإنَّما في معاقبتهم بأخذ العذاب إيّاهم على غِرارِ خبر إذاقة أهل القرية لباس الجوع والخوف؛ إذ إنَّ أهل مكَّة قد قيسوا بأولئك؛ فكما أذاق الله تعالى أهل القرية لباس الجوع والخوف؛ أذاق أهل مكَّة هنا مرارة الجوع ومعاناة الخوف.

نكتة استعمال (المجيء) دون (الإتيان):

استَعمل النَّظْمُ الكريم الفِعْلَ ﴿جَآءَهُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ﴾ دون الفعل (أتى)؛ لأنَّ "(جاء) يُسنَد إليه الجواهرُ والأعيانُ، وما يُرادُ تجسيدُه من المعاني"[2]، والَّذي جاء هنا هو الرَّسول ﷺ؛ فحُقَّ إسناد المَجيءِ إليه، أمّا الفِعْلُ (أتى)، فيغلب استعماله "في المَعاني والأزمانِ"[3].

مِنْ أعظم نِعَمِ الله تعالى على عبادِه إرسال الرُّسل ومكثهم فيهم

وإلى ذلك ففي إسناد المَجيءِ إلى الرَّسول ﷺ في قوله ﴿جَآءَهُمْ﴾ "دلالة على أنَّ هذا الرَّسول وصل إليهم، وبَلَّغَهُم رسالة ربِّه دون أن يُكَلِّفَهُم الذَّهاب إليه أو البحث عنه"[4]، فكان ينبغي عليهم أنْ يعرفوا له ذلك ويشكروه لا أنْ يكذِّبوه؛ ممّا أوجب لهم العقوبة كأهل القرية الأولى – موردِ المَثَل.

غرضُ تنكير ﴿رَسُولٌ﴾:

ورد اسم ﴿رَسُولٌ﴾ غيرَ مُعرَّف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ

لا يُرْسِلُ الله تعالى إلّا عظماء خَلْقِه وأصفياء عباده

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 308.
(2) القيعي، الأصلان في علوم القرآن، ص: 387.
(3) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: 2/ 365.
(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 248.

رَسُولٌ مِّنۡهُمۡ﴾ تعظيمًا لشأنه، وإكرامًا لوظيفته، وتهيئةً لوصفه بالجارِّ والمجرور ﴿مِّنۡهُمۡ﴾؛ وجاء هذا الوصف تجريما لتكذيبهم إيّاه بعد ذلك، وجاء ذلك بدوره تَقْدِمَةً للحُكم عليهم: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾؛ فهم يعرفون رسولهم هذا كما يعرفون أبناءهم، "يعرِفونه بأصله ونَسَبِه، فأخبرهم بوجوب الشُّكرِ على النِّعمة، وأنذرهم سوءَ عاقبةِ ما يأتون وما يذرون"[1]، ومع ذلك كذَّبوه فحَقَّ عليهم العذاب.

بلاغة التَّعبير بالوصف دون الإضافة:

بِـغْـثَـةُ الـرَّسـول مِن صميم قومه يُـحـقِّـق الـثّـقـة ويُسْرَ التّفاهم

وصفَ الرَّسول المُرْسَلَ إلى القوم بِالجارِّ والمجرور ﴿مِّنۡهُمۡ﴾ أيْ: كائنٌ منهم، دون أنْ يقول: (رسولهم)؛ وذلك لصراحة هذا التَّعبير بأنَّه "من أنفسهم من نَسَبهم وحَسَبهم يعرفونه، كقوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: 146]؛ لأنَّه إذا كان مِن غير جوهرهم لم يظهر لهم الآية مِن غير الآية، ولا الحُجَّة من الشُّبهة، وكذلك يُعرَف صِدْقُ مَن نشأ بين أظهُرهم من كذبه، ولا يُعْرَفُ إذا كان من غيرهم"[2].

أمّا التَّعريف بالإضافة (رسولهم)، فلا يَقْطَعُ بِأنَّ الرَّسولَ المُرْسَلَ إليهم منهم ومن أنفسهم؛ فيبقى أغلبُ أمره مُبهَما عليهم، وتَفوتُ حكمة يُسْرِ التَّفاهُمِ معهم، ووَفْرَةِ ثقتهم فيه، وتَمامِ بيانه لهم؛ وتلك من دواعي تصديقهم إيّاه واتِّباعه.

معنى الفاء ودلالتها:

مِـــنْ طَـبْـعِ الـجـاحـديـن المـسـارعـة إلى الـتَّـكـذيـب بلا رويّة أو تفكُّر

جاء التَّعبير بالفاء في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ للإشعارِ "بأنَّهم لم يتمهَّلوا، ولم يتدبَّروا دعوة هذا الرَّسول، وإنَّما قابلوها بالتَّكذيب السَّريع بدون رَوِيَّة، ممّا يدلُّ على غباوتهم، وانْطِماسِ بصيرتهم"[3]،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 146، مختصَرا.
(2) الماتريدي، تأويلات أهل السنة: 6/ 585.
(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 248.

وتكذيبُهم إيّاه كان "في رسالته أو فيما أخبرهم به ممّا ذُكِرَ؛ فالفاءُ فصيحةٌ، وعدم ذِكرِه للإيذان بمفاجأتهم بالتَّكذيب من غير تَلَعْثُمٍ"[1]، ومباشرة بلا أدنى تَردُّد.

سرُّ استعمال لفظ التَّكذيب دون الكُفر:

تكْذِيبُ الرَّسولِ تكذيبٌ للمُرْسَلِ صراحةً والمُرْسِلِ ضِمنًا

آثَرَ النَّظْمُ استعمال التَّكذيب في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ دون أن يُقالَ: (فكفروا به)، وذلك أنَّ التَّكذيب أشدُّ وطأةً على نَفْس الرَّسول ﷺ؛ لذلك كان جرمه أكبر، وكانت عقوبته أوجب من حيث هو تكذيب للرَّسول الطّاهر البريء من الكذب، أمّا الكُفْرُ فإنَّه رَدٌّ لدعوته بقطع النَّظر عن اتِّهام شخصه؛ لذلك رَتَّب النَّظْمُ الكريم على تكذيبهم إيّاه ﷺ أخذ العذاب إيّاهم بفاء التَّعقيب الموجِبَةِ للأخذ بلا مهلة.

"وترتيب أخذ العذاب على تكذيب الرَّسول جرى على سُنَّة الله تعالى، وهي أنَّهُ لا يُعذِّب مَن كفر به حتَّى يبعث إليهم رسولًا، يحذِّرهم عاقبة كفرهم، ويُرشدهم إلى آيات ربِّهم، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15]"[2].

بلاغةُ الاستعارة في لفظ (الأَخْذِ):

ذِكْرُ الأخذِ دليلُ مُكنةِ الإهلاكِ وشموله

المقصود بِالأَخْذِ في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾: الإهلاك[3]، فهو مجاز مرسل علاقته السَّببية؛ حيث ذُكر السَّبب ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ وأُريد المُسَبَّبُ (الإهلاك)، وفي إيثار ذِكْرِ السَّبَبِ مَزيدُ تَرْهيبٍ؛ إذِ المُسَبَّبُ يذهب بصاحبه، فيُسَكِّنَ أَلَمَهُ، أمّا العذاب فباقٍ عليه.

"وترتيب أخذ العذاب على تكذيب الرَّسول جرى على سُنَّة الله تعالى حسبما يُرْشِدُ إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 146.
(2) مجمع البحوث، التفسير الوسيط: 5/ 689.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 308.

رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء: 15] وبه يَتِمُّ التَّمثيل؛ فإنَّ حال أهل مكَّة سَواءٌ ضَرَبَ المَثَلَ لهم خاصَّة أو لهم ولِمَنْ سار سيرتهم كافَّة أشبه بحال أهل تلك القرية مِنَ الغُرابِ بالغُرابِ"[1].

بلاغةُ إسناد الأخْذِ إلى ﴿ٱلْعَذَابُ﴾:

﴿ٱلْعَذَابُ﴾ لا يَأْخُذُ على الحقيقةِ المحسوسة، وإنَّما الَّذي يَأْخُذُ المعذَّبين هو الله تعالى، فهذا الإسناد مجازٌ عقليٌّ.

بلاغةُ الاستعارة في لفظ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾:

تصويرُ العذابِ في الانتقامِ رادعٌ في المقام

في لفظ ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ استعارةٌ مكنيَّة أصليَّة، حيث شبَّه العذاب بشخصٍ يأخذ، وحُذف المشبَّه به، وذُكر المشبَّه، وذكر لازمًا من لوازمه، وهو الأَخْذُ، ونكتةُ الاستعارة تصوير العذاب بأنَّه يأخذهم انتقامًا منهم بسبب تكذيبهم رسول الله، وبيان أنَّ له إرادةً في أخذهم ورغبةً، كما قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: 49].

دلالة تعريف العذاب:

عَـذابُ الكافرين بالِغٌ في بابه؛ لا يُتصوَّر خطره

تعريف ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ في جملة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ يضفي عليه من الخطورة ما يجعله مَحْذورًا، فهو ﴿ٱلْعَذَابُ﴾ البالِغُ في بابه مَبْلَغًا لا يُتصوَّر، كما أنَّ "تعريف العذاب للجنس، أيْ فأخذهم عذابٌ كقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [الأعراف: 94 - 95]"[2].

معنى الواو ودلالتها:

الظُّلْمُ إنْ لازم صاحبه أهلكه ولا يُبالي

الواو في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: واو الحال، أيْ أنَّ تكذيبهم حصل "والحال أنَّهم هم الظّالمون لأنفُسهم؛ لأنَّ هذا العَذابَ ما نزل

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 478.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 14/ 308.

بهم إلّا بعد أنْ كفروا بأنعُم الله تعالى، وكذَّبوا رسوله ﷺ"[1]، وجملة الحال قيدٌ مؤكِّد لنوع كفرهم وتكذيبهم، وهو أنَّه أعْظَمُ أنواع الكفر وهو الشِّرك.

بلاغة الاسميَّة في جملة الفاصلة:

مَـنِ اسْـتَـمـرَأ الـظُّـلْـمَ لَـفَّـه، فغَرِقَ فيه

جاءت جملة ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ اسميَّة كاشِفَةً عمّا داوموا عليه، وما ثبت لهم سَجيَّةً مِمّا "هم عليه مِنَ الظُّلْمِ الَّذي هو كُفْرانُ نِعَمِ الله تعالى، وتكذيب رسوله غيرَ مُقْلِعينَ عنه بما ذاقوا من مقدِّماته الزّاجرةِ عنه، وفيه دَلالةٌ على تماديهم في الكفر والعِناد، وتجاوزِهم في ذلك كلَّ حَدّ مُعْتادٍ"[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

القرية والمدينة:

الـقـريـة دون المـديـنـة في حجمها وعدد قاطنيها

يُطْلِقُ القرآن الكريم اسم (القرية) على كلِّ مجتمع يَتَّفِقُ في عاداته، أو أخلاقه، أو عقيدته، أو حِرفته، كما أطلق في سورة الكهف على مُجْتَمَعِ البُخلاء اسم (القرية)، فقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: 77]، والقرية مأخوذة من الاجتماع، وهي في الحجم وعدد السُّكان دون المدينة.

أمّا إذا اختلفت طبائع أهل المجتمع في شيءٍ من ذلك أُطْلَقَ عليها القرآن الكريم وصف (المدينة)، كما أُطْلَقَ على منطقة يثرب اسم (المدينة)، وذلك لاختلاف طبائع أهلها وبُعْدِ الجِرَّةِ وافْتِراقِهم إلى منافقين وصحابةٍ مُخْلِصينَ، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [التوبة: 101].

الكفر والجحود:

"الكُفْر: ضدُّ الإسلام، وأصل الكُفْر التَّغْطيَةُ على الشَّيْء

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 8/ 248.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 146.

الكفرُ تَغْطِيَةُ الحقِّ والجحد إنكارٌ مع عِلْمٍ

والسَّتْرُ لَهُ، فكَأن الكافِر مُغَطًّى على قلبه"[1]، و"الجُحودُ: الإنكار مع العِلْم، يُقالُ: جَحَدَهُ حقَّه وبحقِّه، جَحْدًا وجُحودًا، والجَحْدُ أيضًا: قِلَّة الخير، وكذلك الجُحْدُ بالضَّم"[2]، و"الجُحود: ضدُّ الاقرار كالإنكار والمعرفة"[3].

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (كفر).
(2) الجوهري، الصحاح في اللغة والعلوم: (جحد)، ص: 666.
(3) الخليل، العين: (جحد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»